مشكلات النّحو العربيّ

بن حليمة محمد – جامعة تيارت

لقد أتـى على النحو العربي حين من الدهر، كثرت فيه المؤلفات وتعددت المصنفات فزخـرت بها مكتباتنا، وزادت العناية عن حدها وضلت الحقائق، ونتجت من ذلك مشكلات كثيرة[1]. " ثمّ طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين أهلها، في الكوفة والبصرة " [2].

وإذا كان الناس زمان الجرجاني قد أنكروا على النحاة غلاءهم في النحو، فلقد جاء في دلائل الإعجاز قولهم: " وإنما أنكرنا أشياء كثرتموها بها، وفضول قول تكلفتموها، ومسائل عويصة تجشمتم الفكر فيها، ثم لم تحصلوا على شيء أكثر من أن تغربوا على السامعين، وتعايوا بها الحاضرين "[3].

وقد ضاق الناس ذرعا بمسائل النحو، وضجروا من جدل النحاة وتعسفهم وتكلفهم[4]، وأنزل بعضهم النحو منزلة الغاية لا الوسيلة، ونسي هؤلاء " أنـه عـلـم وسيلة، يـتـوسـل بها على شيئين : الأول: فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، الثاني: لإقامة اللسان على اللسان العربي الذي نزل به كلام الله عزوجّل[5]كما نسوا أن النظم هو توخي معاني النحو، وهو: " أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو "[6]

ويبلغ السأم مبلغه – وبخاصة - عندما قاربوا إفراط النحاة في مسائل الحذف والتقدير والتأويل والإعراب، وحملهم أساليب اللغة على غير ظاهرها، واستخدامهم الأقيسة النظرية التي لا تستند- غالبا- إلى الشواهد المشهورة من كلام العرب[7] .

تحديد المشكلة:

الحقيقة أن مشكلات النحو متعددة ومتشعبة، و"مسألة تيسير القواعد النحوية تثير حاليا العديد من الإشكالات النظرية والتطبيقية "[8].

---

[1]-ناصر لوحيشي. "الدرس النحوي: مشكلاته ومقترحات تيسيرية"، أعمال ندوة .تيسير النحو ، سنة(2001م)،ص:105.

[2]- ابن خلدون , عبد الرحمن. المقدمة. ص: 566.

[3]- الجرجاني عبد القاهر. دلائل الإعجاز. قراءة و تعليق :محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2؛سنة 1989، ص:29.

[4]- ينظر، إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،ط7؛ سنة 1994، ص:199.

[5]- ابن عثيمين محمد صالح. الدرة النحوية في شرح الآجرومية ص:7.

[6]- الجرجاني عبد القاهر. دلائل الإعجاز. ص :81.

[7]- ينظر ، مدكور علي أحمد. تدريس فنون اللغة العربية. مكتبة الفلاح الكويت،ط1؛1984م،ص:249.

[8]- ندوة تيسير النحو سنة(1976م).نقلا عن صاري محمد."تيسير النحو: موضة أم ضرورة؟"، ندوة تيسير النحو سنة(2001م)، ص:179

وبالرجوع إلى الخلفية الأساسية التي حرّكت دعاة تيسير النحو قديما وحديثا، والتي هي: صعوبة النحو وتعقد أبوابه ، والإشكالية المطروحة هي: أين يكمن منشأ هذه الصُّعوبة ؟ هل تعود إلى صعوبة المادة النحوية في حد ذاتها؟ أم إلى طرق تدريسها ؟ [1].

وصارت اللّغة العربيَّة تُعاني المِحْنة بين أهلها وذويها ،وإليكم الدّكتور عبد الصَّبور شاهين يَصِفُ حالَها:"قدْ يكون من الطّبيعيّ أنْ تجِدَ العربيَّة خارج حدودها أعداءً يكِيدون لها ،لكنّ المُفْزِع حقًّا أنْ يكون بعض هؤلاء الأعداء منْ بَنِيها عنْ قَصْدٍ أو عن غير قصْدٍ ،ولذلك فهي تُقاتِل في إحدى جبهتيْن أَقْرَبِهما أَمَرّهما وأَعْصَاهما ؛لأنّها تُقاتل قَطْعًا من نفسها(وظُلْم ذوي القُربى أشــدّ

مَرَارَة على النَّفْس) ،ولَوْ كُتِبَ لها النَّصْر في هذه المعركة فإنّ مَنْ عَداها يَهُون ،ونحن نتطلَّعُ إلى اليوم الّذي يتحوّلُ فيه كلّ العَرَب إلى عُشّاقٍ مُغْرَمِين بلسانهم ،ذائبِين في حَرْفِه ،يُحْسِنون دَرْسَه ، ويُجِيدون نُطْقَه ،... فلا يَنْطِقون على أرض العرَب إلاّ العربيَّة ،وعلى مَنْ أراد أنْ يعيش بين ظَهْرانيهم من الأجانب أنْ يتعلّمَ لِسانهم ويُعاملهم بِكلاَمهم . عندئـــذٍ سيكون لهذه الأرض احترامها ،وسَوْف تعود محابتها وعزّتها ،ولسنا بِدْعًا في هذا ، ... "[2].ومن خلال" المحاولات النظرية والتطبيقية التي أنجزها اللغويون لحل مسألة القواعد النحوية وتدريسها: نطرح الأسئلة الآتية: هل استطاعت المحاولات الحديثة - التصورات الحديثة لمشكلة تبسيط النحو- أن تقرب النحو من عقل التلميذ ليفهمه، ويجري عليه تفكيره إذا فكّر، ولسانه إذا تكلم، وقلمه إذا كتب؟ وهل فعلت شيئا يعيد للنحو التعليمي حيويته، وتحبب إلى التلاميذ درسه ومدارسته؟ وما مقدار التّجديد في تلك المحاولات؟ وما هو المفيد الذي يمكن استثماره في تعليمية مادة النحو، والعربية عامة؟" [3].

يقول ابن مضاء القرطبي : "إنّي رأيت النحويين - رحمة الله عليهم- قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير، فبلغوا من ذلك الغاية التي أموا وانتهوا إلى المطلوب الذين اتبعوا، إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم وتجاوزا عنها القدر الكافي فيما أرادوه منها فتوعرت مسالكها ووهنت مبانيها وانحطت عن رتبة الإقناع حججها "[4] ، ويقول مونان:"ذلك أن قضايا اللغة كانت ملابسة لقضايا المعتقد في كل الحضارات التي عرفت بكتاب سماوي"[5].و يقول عبد الفتاح الدجني: " ولن نغالي إذ نقرر أن الدراسات اللغوية كافة جاءت نتيجة حتمية لخدمة القرآن وعاشت في ظله" [6]، فاختلفت الآراء وتباينت حول إن كانت هذه هي الغاية التي نشأ النحو العربي أجلها.

---

[1]- ينظر ،المرجع نفسه.ص:218.

[2]-عبد الصَّبور شاهين .العربيَّة لغة العلوم والتّقنيّة .دار الإصلاح للنّشر والتّوزيع ,ط 1 ؛ 1983م ,ص : 39,و40.

[3]-ندوة تيسير النحو سنة (1976م).نقلا عن صاري محمد." تيسيرالنحو:موضة أم ضرورة؟" ،ندوة تيسير النحو سنة (2001م)،ص:201.

[4]-ابن مضاء القرطبي. الرد على النحاة. تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ط2؛ 1953م، ص:72.

[5]-المسدي عبد السلام. التفكير اللساني في الحضارة العربية. الدار العربية للكتاب، ط2؛ 1986م، ص:23

[6]-عبد الفتاح الدّجني. الإعجاز النحوي في القرآن الكريم. مكتبة الفلاح الكويت، ط1؛ 1984م، ص:108.

وعلى العموم يُمْكـن تصنيف اللَّحْــن إلى ثلاثة أنواع :

1ـ الخطأ في الألفاظ.

2ـ الخطأ في الإعراب.

3ـ الخطأ في الأسلوب[1].

أمّا الدكتور عبده الراجحي فيرى أن النحو العربي شأنه شأن العلوم الإسلامية الأخرى نشأ لفهم القرآن الكريم، وشتان بين محاربة اللحن وإرادة الفهم، فاللحن لم يكن- في نظره- السبب الكافي لنضج النحو مبكرا على تلك الصورة التي عرفناها عليها إذ يكفي وضع ضوابط بسيطة للصحة والخطأ لتجنب خطر اللحن، أما الفهم فيستوجب البحث في كل ما يساعد في استنطاق النص ومعرفة ما يؤديه التركيب القرآني على وجه الخصوص باعتباره أعلى مراتب الفصاحة، وذلك لأن الفهم طريق لا نهاية له، ومن هنا كان النشاط النحوي القديم على الوجه المعروف من كثرة علمائه وتفرع مذاهبه ووفرة مادته[2].

ويذهب إبراهيم السامرائي إلى أن النحو كان ينبغي أن يكون على النحو الواسع الذي عرفناه عليه وإن لم يكن اللحن قد ظهر وشاع، فقد ظهر في القرن الثاني للهجرة، وهي الحقبة التي بدأت فيها العلوم الإسلامية تنشأ وتزدهر حتى إذا حلّ القرن الثالث والقرن الرابع كان لنا علم لغوي واسع شأنه شأن العلوم الإسلامية الأخرى، كما يرى أنه من العسير أن نجد في تاريخ النحو ما يشير إلى أنه علم تربوي محض يرمي منه أصحابه إلى تقويم اللسان والقلم[3]. فقد ورد في طبقات الزبيدي قوله: "وكثيرا ما يختلف النحاة في أوجه الإعراب، فهذا عيسى بن عمرو الثقفي يختلف مع أبي عمرو بن العلاء في قراءة بعض الآيات، فكان يكون لكل منهما رأي ولكل منهما تعليل، وكثيرا ما تحاورا في أوجه الإعراب"[4].ويذهب الزركشي إلى أنه لا بد على الـمُفَسِّرِ أن يعتمد على العلوم الأخرى، وأهمّها عِلْم النّحو.

كما تأثّرَ النّحو بالفِقْه وأصوله من النّاحيّة المنهجيّة ،قال السّيوطي:" وأَضَفْنا إلى علوم العربيّة عِلْميْن وضَعْنَهما ؛عِلْم الجَــدَل في النّحو وعِلْم أصــول النّحو ؛فَيُعْرَفُ به القياس وتركيبه وأقسامه ،... ،إلى غير ذلك على حَدِّ أصول الفِقْــه"[5]. أمّا الإمام الشّافعيّ فكان لا يُسْأل عن مسألة من مسائل الفِقْه ،إلاّ أجابَ عنها من قواعد النّحو[6].

---

[1] يُنظـر ,محمّد كراكبي."تقويم مُدونة النّحو العربيّ",ندوة تيسير النحو,عدد(2001م),المجلس الأعلى للغة العربيّة,ص:319,و320.

[2] - ينظر ،السامرائي إبراهيم. المدارس النحوية أسطورة وواقع. دار الفكر للنشر والتوزيع بيروت، ط1؛ 1987م، ص:11.

[3] - الزبيدي أبو بكر. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، د.تا، ص:37، و38.

[4] - الزبيدي أبو بكر. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، د.تا، ص:37، و38.

[5] - السيوطي جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة، د.تا، ج2، ص:260.

[6] - الزمخشري محمود بن عمر. المفصل في صنعة الإعراب. دار الجيل للطباعة والنشر بيروت، د.تا، ص:03.

وأمّا الإمام أبو عمرو الجرميّ فكان يفتي للنّاس في الفقـه من كتاب سِيبَوَيْـــه[1].

وأمّا عليّ أحمد مدكور فَيُورِدُ المقُولة المشهورة (النّحو في الكلام كالمِلْح في الطّعام) [2].هذا كلامٌ صائبٌ سديد،وتشبيه النّحو بالمِلْح بيْتٌ من حديد،حيث به يُكْشَفُ الإبهام والغُمُوض،كما بالمِلْح يُسْتَلَذُّ الطّعام ويُشْتَهَى تناوله،أمّ إذا زِيدَ في كليْهما عن المِقدار؛فلا كلام مفهوم ولا طعام مأكـول.

كما يذهب السيوطي هذا المذهب، يقول: " معرفة النحو ضرورية لأن المعنى يتغير بتغير الإعراب وأخرج أبو عبيدة عن الحسن أنه سئل عن اللغة يلتمسها حسن المنطق ويقيم بها قراءته، فقال له الحسن: فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها فيهلك فيها " [3]. ويبين الزمخشري شدة الحاجة إلى علم النحو، محتجا على بعض من العربية ويضع من مقدارها في عصره، يقول:"... وذلك أنهم لا يجدون علما من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها إلا وافتقارها إلى العربية بين لا يدفع ومكشوف لا يتقنع، ويرون الكلام في معظم أبواب وأصول الفقه ومسائله مبنيا على علم الإعراب، والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه والأخفش والكسائي والفرّاء وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيين "[4]

يصف إبراهيم مصطفى اهتمام العرب بلغتهم، قائلا: " كان حسّهم به دقيقا يقظا، يعدونه عنوان الثقافة التامة والأدب الرفيع، فكانوا يعدّون اللحن هجنة على الشريف وانتقاصا من المروءة، فكان الرجل إذا تكلم ولحن سقط من أعينهم" ، ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بالفتوحات، وتوطدت علاقة العرب بغيرهم من الشعوب غير العربية تسرب الخلل إلى اللغة، وأورد صاحب الطبقات أنّ: " أبا الأسود الدؤلي هو أول من أسس العربية ونهج ووضع قياسها، وذلك حين اضطرب كلام العرب وصار سرّاة الناس و وجوههم يلحنون "وفي رواية لابن النديم أنّ أبا الأسود الدؤلي سمع قارئا يقرأ: **(لا يأكله إلا الخاطئين)** ، فعمل النحو، والقراءة الصحيحة هي **(إلاّ الخاطئون)** ، والقارئ نصب الفاعل.

يؤيد ابن خلدون هذا الرأي القائل بأن النحو العربي نشأ لغرض حماية اللغة من اللحن، يقول: " فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب المُلْك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العَجَمَ، تغيّرت تلك المَلَكة بما أَلْقَى السّمْعُ من المخالفات الّتي للمستعربين. و السّمع أبو المَلَكَات اللّسانية ، ففسدت بما أُلْقِيَ إليها مما يُغايِرُها، لجُنُوحِها إليه باعتياد السّمْع. وخَشِيَأ هـل العلوم منهم أنْ تَفْسُد تلك الْمَلَكَة رأْسا، ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم؛ فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك المَلَكَة مُطَّرِدَةً "[5]

---

[1] - إبراهيم مصطفى. إحياء النحو. ص:09.

[2] - الزبيدي أبو بكر. طبقات النحويين واللغويين. ص:21.

[3] ينظر، مازن المبارك. العلة النحوية. دار الفكر بيروت، ط 3؛1981م، ص:59.

[4] ابن خلدون عبد الرحمن. المقدمة. ص:566.

[5] الزبيدي أبو بكر. طبقات النحويين واللغويين. ص:11، و12.

يقول الزّبيدي: " أوّل من أصّل النحو وأعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم بن عمرو ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز، فوضعوا النحو أبوابا وأصولا، فذكروا عوامـل الرّفْع والنّصب والجّر والجزم، ووضعوا أبواب الفاعل والمفعول والمضاف " [1].

ويَعْتَبِرُ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مبادرة أبي الأسود الدؤلي من المبادرات الهامة و الرّائدة في مجال الدّرس اللّساني العربي ، والّتي لم يسبق لها مثيل ، فيقول: " والذي يؤثر عن أبي الأسود الدؤلي هو مبادرته في استقراء المادة اللسانية للقرآن بالخصوص، واستنباطه من هذا الاستقراء لثلاثة مقاييس نحوية عامة الوجود، وهي أبواب الفاعل والمفعول والمضاف ثم وضع علامات خطية للدلالة عليها.. وإن كانت هذه المقاييس أولية ومجرد مبادئ فإن لهذا العمل، ولهذا المنهج في استخراج حدود اللسان ومقاييسه أهمية عظمى لا يقدر لها تقدير إذ لم يؤثر أنه حصل مثل هذا فيما قبل بالنسبة العربية، ثم هي محاولة علمية حقيقية وليست من محض الهواجس التي تذهب أدراج الرياح بُعَيْدَ ظهورها " [2].

قال ابن عثيمين في شأن النحو: "وقد مثل ببيت من قصب وبابه من حديد يعني: أنه من صعب الدخول لكن إذا دخلت، سهل عليك كل شيء. ولهذا ينبغي للإنسان أن يحرص على تعلم مبادئه حتى يسهل عليه الباقي، ولا عِبْرة بقول من قال:(إن النحو صعب) ،حتى يتخيّل الطّالب أنه لن يتمكن منه، فإن هذا ليس بصحيح، ولكن ركز على أوله يسهل عليك آخره " [3].

والملاحظ أنَّ العلاّمة ابن عثيمين يُرَغِّبُ المتعلّم المُبتدئ في النّحو ، و يردُّ على أهل التيئيس.

قال بعضهم *:

النَّحْوُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلّمُهُ *** إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الّذِي لَا يَفْهَمُهُ

..... *** أَرَادَ أَنْ يُـعْـرِبَـهُ فَيُعْجِـمَهُ [4].

و"...لكنّ علماء النّحو تأثّروا بالأساليب الفلسفيّة والمنطقيّة،فبالغوا في مسائل الذّكر والحذْف ،والتّقديم والتّأخير، والتّقدير والتّأويل في استخدام العوامل، والعِلل الثّواني والثّوالث، وهكذا جاءتْ تَرِكَتُنَا النّحويّة مُحَمَّلَة بِعبْءٍ ثقيل من الأفكار الغريبة عن الدّراسة اللّغويّة الخالصة، ومُنْتفِخَة بدقائق الفُروع والمجادلات،

---

[1] عبد الرحمان الحاج صالح." مدخل إلى علم اللسان الحديث (2) " ، مجلة اللسانيات، (1971م)، ص:32.

[2] ابن عثيمين محمد بن صالح. الدرة النحوية في شرح الآجرومية. ص:07.

* في هذا القول، يقول ابن عثيمين: " وهذا ليس بصحيح، نحن لا نوافق على هذا، بل نقول إن شاء الله: النحو سهل وسلمه قصير ودرجه سهلة من أوله ". نقلا عن المرجع نفسه.ص:08.

[3] ابن عبد ربه. العقد الفريد. ج 1، ص:248، نقلا عن المرجع نفسه. ص:08.

[4] محمّد عيد . في اللّغـــــة ودراستها . عالم الكتب القاهرة , د ط ؛ 1974م , ص : 199, و200.

والأقيسة والتّعليلات، وخرجتْ دراسة النّحو الغرض الّذي وُضِعَ من أجله؛ وهو خدمة اللّغة العربيّة مستوياتها المختلفة، قَوْلاً، وقراءةً، وكتابةً".

تأثر النّحو بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام :

لقد ارتقى البحث اللّغويّ بعامّة والبحث النّحويّ بخاصّة ، في رِحابِ الفلسفة وعلم الكلام ، وتأثّرَ بالمباحث الفلسفية والكلامية ، وتجلّى هذا في المنهج والاصطلاح وطريقة التّأليف ، كما تجلّتْ ملامح الفلسفة والمنطق في المقولات والتّبويب ووضع الحُدود والتّعريفات[1]

وبإقحام مقولات المنطق على الطّبيعة اللّغوية ، وهيمنتْ هذه القوانين الدّخيلة على الفطرة اللّغوية ، اقتنعَ أسلافنا بأنّ هناك إجحافٌ في حقِّ اللّغة ومستعمليها ، فقدْ أشار ابن جنّي إلى أنّ العامل الحقيقيّ في اللّغة هو الإنسان بوصفه وضع اللّغة ، وقدْ تأثّرَ به ابن مضاء القرطبي ، فألّف كتابه (الرّدّ على النُّحاة) رافضًا معيارية النّحو ، وداحِضًا مبدأ العامل والعِلَّة والفاعل والسببِ وما إليها من القضايا الّتي نلجأُ إليها في تعليلنا للظّواهر اللّغوية ، فالإنسان هو العاملُ الأوّلُ والأخيرُ في اللّغة [2]. ومما يدلُّ على تأثّرِ ابن جنّي بمنهج المتكلّمين أنّه عَقَدَ بابًا في كتابه (الخصائص) وسمّاه (عِلل العربيّة أكلاميّة هي أمْ فقهيّة ؟) ، وقال:" اعلمْ أنّ عِلل النّحويين ... أقْرب إلى عِلل المتكلّمين منها إلىعلل المتفَقِّهين ذلك أنّهم إنّما يحيلون على الحِسّ ، ويَحتجُّون فيه بثِقَلِ الحال أوْ خِفَّتها على النّفس كذلك هي عِلل الفِقْهِ "[3][4]. وقال في سِياق آخر :" العرب أرادتْ من العِلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها "[5][6]. ويرى في سِياقٍ آخر :" أنّهم أحسُّوا ما أحْسَسْنا وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادتَه وقصْدَه "[7].[8]

كما أطلقَ بعض دُعاة التيسير على النّحو العربيّ اسم (النّحو التّقليدي) لأنّه في نظرهم "... يُرَكِّزُ على فهْم المعنى أوّلا ومعرفة العِلّة ثانيًا ، وذلك يعود لاعتماده كلّيًا على المنطق"[9] .

---

[1] ينظر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ندوة تيسير النّحو , عدد (2001م) ,منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة الجزائر, ص : 392.

[2] ينظر , أنيس فريحة . نظريات في اللّغة . بيروت لبنان , ط 2 ؛ 1981م , ص : 162.

[3] ابن جنّي. الخصائص . ج 1, ص :48. نقلاً عن أحمد حساني ." النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص :395.

[4] ينظر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص:395 .

[5] ابن جنّي. الخصائص. ج 1, ص :237. نقلاً عن أحمد حساني ." النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ" , ص :394.

[6] ينظر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص:394 .

[7] ابن جنّي . الخصائص . ج 1, ص :238.نقلاً عن أحمد حساني ."النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص :394.

[8] ينظر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص:394 .

[9] السّامرائيّ,إبراهيم . النّحو العربيّ في مواجهة العصر . دار الجيل بيروت , ط1 ؛ 1995م , ص : 23.

وبسببِ هذا الخطاب الفلسفي الدّخيل على على الخطاب النّحويّ التّعليميّ ، حدَثَ النُّفُور من النّحو ، وما قصّة الأعرابيّ إلاّ دليل على ذلك " وقفَ أ عرابيّ على مجلِسِ الأخفش ، فسمِعَ كلام أهله في النّحو وما يدخُلُ معه ، فتعَجَّبَ وأطْرقَ ووسْوسَ . فقال له الأخفش : ما تسمعُ يا أخا العرب ؟ قالَ : أراكم تتكلّمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا " [1]. إذا قيل هذا في زمنِ الفصاحةِ ، حين كان السَّلِيقيّ يفتخِر على النَّحْويّ ، فيقول :"

وَلَسْتُ بِنَحْوِيٍّ يَلُوكُ لِسَانه *** وَلَكِنّي سَلِيقِيٌّ أَقُولُ فَأُعْرِبُ "[2].

فماذا نقول نحن في عصرٍ كثُرتْ فيه العلوم وتشَعبَّتْ ،والمؤلَّفات وتراكمتْ ، وتعقَّدتْ فيه المفاهيم ، وتداخلتْ فيه المصطلحات ، وتعالتْ فيه دعَواتُ الإصلاح وتبَارزتْ ، وتناثَرتْ مبعْثرةً هنا وهناك وتساقطَتْ ...إلى غير ذلك .

تأثّر النّحو بالمنطق الأرسطي جعلَ قواعد النّحو العربيّ في أساسها هي تكييفٌ لمقُولات أرسطو ، ولذلك اخْتلطتِ المشاغل اللّغوية بالمشاغل المنطقية ، وكادتْ تقُوم مقامها

يقول أنيس فريحة : " لا شكَّ أنَّ مقُولاتِ أرسطو على وجْه التّخصيص ظاهرٌ في نحْوِنا وصَرْفِنا ، وبدأَ هذا في البصْرة ...كانوا يَعْتَبِرون اللّغة قياسيّة ومنطقية ، وما يخرج عن المجرى المحدّد للغة شاذ ولا يُقاس عليه " [3]. ومن ذلك ما رواه ابن الأنباري على أحدهم:"كنّا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النّحويين ، فمنهم مَنْ لا نفهمُ مِنْ كلامه شيئا ، ومنهم مَنْ نفهمُ بعض كلامه دون بعضٍ ، ومنهم مَنْ نفهم جميع كلامه . فأمّا مَنْ لا نفهم مِنْ كلامه شيئا فأبو الحَسَن الرُّمّانيّ ، وأمّا مَنْ نفهم بعض كلامه دون بعض فأبو عليّ الفارسيّ ، وأمّا مَنْ نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السّيرافيّ " [4].

أمّا ابن خلدون فيرى بأنّ النّحاة استعانوا بالمنطق لِوصْف الفكر النّحوي ، فيقول: " وأمّا المنطق فإنّما هو واصِفٌ لفعْل هذا الفكر "[5].

ـ أثر المصطلح النّحوي على التّحصيل :

يدعو الباحثون إلى علاج مشكلة المصطلح النّحوي ،كأنْ تكون : دقيقةً لا لُبْسَ فيها ـ واضحةً لا غُموضَ فيها ـ محدّدةً لا خَلْطَ فيها ـ ظاهرةً لا تداخُلَ فيها، حيث أنّ: "ما يهُمنا في البحْثِ النّحويّ أنْ نعرض الأُسُسِ

---

[1] أبو حيّان الأندلسي . الإمتاع والمؤانسة . تحقيق : أحمد أمين ،بيروت لبنان , د تا ,ج2 , ص : 139.

[2] ينظر ، أنيس فريحة. في اللغة وبعض مشكلاتها. دار النهار، ط1؛1980م، ص:23.

[3] المرجع نفسه. ص:93.

[4] ابن الأنباري عبد الرحمن بن محمد. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص:276.

[5] ابن خلدون . المقدّمة . ص : 555.

الهامَّة ،وهو أنْ تكون مصطلحات الصِّناعة موصوفة بالدِّقة على نحْوٍ يدفع اللُّبْس ولا يدعو إليه ، ينفي الغموض ولا يستدعيه، يتجافى عن الخَلْط ولا يُسبِّبه ينأى عن التّداخُل ولا يؤدي إليه"[1]. كما يرى بعضهم أنّ منَ العوائق الّتي تقفُ حجرة عثْرة أمام المتعلِّم هو المصطلح الدّخيل على النّظام النّحوي ، فيقول : "ويُعَدُّ إشكال المصطلح الدّخيل على النّظام النّحوي ،عاملاً رئيسًا منَ العوامل المَعُوقة لامتلاك آليّات البنى التّركيبية للسان العربيّ ،وهو الأمر الّذي يجعل كثيرًا منَ المتعلِّمين العرب وغير العرب ينفرون منْ دراسة النّظام القواعدي العربيّ " [2].مما جعل أحدهم يقول في سياق حديثه عن المصطلحات النّحوية : "إنّ الشَّقّة بين مدلولاتها الأولى وبين ما ترمُزُ إليه في هذا العِلْم واسعة ،وتُشكِّل عَثْرة لأكثر الطُّلاب: المُسند والمُسند إليه ،المضارع ،المبتدأ ،صِيَغ المُبالغة ،الصِّفة المُشَبَّهة ،الممنوع من الصَّرف ،لا مَحَلَّ له من الإعراب ، ... وغيرها من المصطلحات يفهمها علماء اللّغة والمُتَفَقِّهون، ولكنّها لا تعني شيئًا عند المتعلِّمين "[3]. إلاّ أنّ أحد الباحثين يرى بأنّ اللّغة متى أثَّرتْ أوْ تأثَّرتْ ،يؤدي ذلك إلى ظهور مصطلحات جديدة ،وقدْ تتداخلُ فيما بينها ويكون ذا أهميّة ،خصوصا إذا كانت هناك فراغات لغوية ،فيقول :" ... اللّغة متى اتَّصلتْ بغيرها أثّرتْ وتأثّرتْ ،وهذا بالطّبع يؤدي إلى ظهور نمط جديد من المصطلحات ،وهو شيء لا بدّ منه في التّداخل اللّغويّ ،بلْ يعمل أحيانًا على سدِّ الفراغ في اللّغة المغلوبة ،وما هو غير مُحبّب عندما تتداخل الأنماط النحوية في لغةٍ ما ..." [4].

كما أنّ تعدُّد المصطلحات النّحوية المعبِّرة عن المفهوم الواحد ،يؤدي إلى كَثْرتها ،مثل(الصِّفة والنَّعت) ،و(نائب الفاعل والفعل الّذي لمْ يُسَمَّ فاعله) ،و(اسم الفاعل والفعل الدَّائم)، (الجرّ والخَفْض) ،و(الموصوف والمنعوت) ،و(التّمييز والتّفسير والتّبيين) ،وغيرها . والظّاهر أنّ النّحاة اعتمدوا على المعنى اللّغوي في إطلاق المصطلح .ولقد تعجّب بعضهم من هذه المصطلحات المتعاقبة في الخطاب النّحويّ العربيّ، ورفَضَها رَفْضا قاطِعا[5].وهاهو ابن يعيش يُوضِّح واحدا منها بقوله :" اعْلَمْ أنّ التّمييز والتّفسير والتّبيين واحد ،والمُراد به رَفْع الإبهام وإزالة اللُّبْس... ولذلك سُمِّيَ تمييزا وتفسيرا"[6]. كما أنّ "كُتُبَ النّحو، الّتي يُفْترض فيها أنْ تكون مُيَسَّرة...

---

[1] أحمد عبد العظيم عبد الغني. المصطلح النحوي :دراسة نقدية. دار الثقافة للنشر والتوزيع مصر، د.ط؛1990م، ص:02.

[2] أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص: 386.

[3] أنيس فريحة . نظريّات في اللّغة . ص :167.

[4] صالح بلعيـــد . مقـالات لغـــوية . ص : 05.

[5] ينظر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص: 387.

[6] ابن يعيش. شرح المفصل. تصحيح وتعليق: شيخ الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية القاهرة مصر، د.تا، ج2، ص:180.

مَحْشُـوَّة بمصطلحات لا صِلَةَ لها بالواقع اللّغويّ "[1].. إلاَّ أنّ هذا غير مُجْدٍ في التّعليم ،وقد يكون خطيرا على المتعلّم ،لذا نبّهَ أحد اللّسانيين على ذلك قائلاً :" فكَثْرة المصطلحات منْ شأنها حَشْـــو ذِهْن المتعلّم بمفاهيمَ هو في غِنًـى عنها "[2].

إنّ كَثْرة المصطلحات النّحوية وتداخلها ،إحدى العوائق الّتي تعوق المتعلّم عن الفهم ،فمثلاً في مبحث (الفعل) ،نجدُ كثيرا من المصطلحات خاصّة بتصنيفه حسب القوانين النّحوية ،وإذا كان المتعلّم يدرسها متتابعة، فكيف يدركها ويفهمها ؟ ،وكيف يحدِّدها ويُفرّق بينها ؟ ،وإذا كان المنهج العلمي يفرِضُ علينا ذلك ،فهذا غير مُجْدٍ في زمنٍ طغتْ فيه العامّيّة ،وإنّما ينبغي أنْ تُدْرس موّزعة على مستويات تعليميّة مختلفة .

ـ التّعليـل : يُوضّح لنا الأستاذ مازن المبارك أهميّة كلّ من العلل التّعليميّة في النّحو ،والعلل القياسيّة في اللّغة العربيّة ،ثمّ العلل الّتي لا فائدة منها غير الحِجاج والجدل ،فيقول :" لقد جعلَ الزّجّاجي العلل : تعليميّة وقياسيّة وجدَليّة نظريّة،وما كان له أنْ يجعلها كذلك ، ولا أنّه نظرَ إليها على أنَّ منها ما هو ضروريّ لتحقيق غاية النّحو التّعليميّة ،إذْ بالعلل يُتوصَّل إلى معرفة كلام العرب ،ومنها ما هو ضروريّ لتحقيق غاية العربيّة ،إذْ بالعلل القياسيّة يُمكن أنْ نُجاريَ العرب فنقيس على كلامهم ،فنكفل للغة استمرار حياتها ونمائها ... ومن تلك العلل بعد ذلك عللٌ ليس للنّحو فيها نصيبٌ ،ولا للغة منها نفْعٌ ... وهي العلل الّتي تدخل في باب النّظر والجدل "[3].

ويبيّن ابن السّراج أنواع العلل عند النّحويين ،فيقول :" اعتِلالات النّحويين على ضَرْبين ،ضربٌ منها المؤدي إلى كلام العرب ... ،وضربٌ آخر يُسمى عِلّة العلّة ... وهذا ليس يُكسبنا أنْ نتكلّم كما تكلّمت العرب"[4]. والظّاهر من كلامه أنّ الضّرْب الأوّل هو العلل التّعليميّة ،والضَّرْب الثّاني هو العلل القياسيّة و العلل الجدليّة . إلاّ أنّ ابن جنّي انتقد ابن السّراج على هذا التّقسيم ،حيث قال :" ... ، وكان يجب على ما رتّبه أبو بكر ،أنْ تكون هنا عـلّة ،وعـلّة العـلّة ،وعـلّة عـلة العـلّة "[5]. وعلى هذا التّرتيب وسمّى ابن مضاء (علّة) بالعلل الأول(التّعليميّة) ،و(علّة العلّة) بالعلل الثّواني و(علّة علّة العلّة) بالعلل الثّوالث ،وجَمَعَ فقال :" ومما يجب أنْ يسقط من النّحـــو عـلل الثّواني والثّوالث"[6]. ،وأبقى على العـلل الأول(التّعليميّة) ،فقال فيها :" بمعرفتها تحصُلُ لنا المعرفة بكلام العرب المُدْرك بنظر " [7].

---

[1] أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص: 386.

[2] صاري محمد. " واقع المحتوى النحوي في المقررات الدراسية " ، ص:180.

[3] مازن المبارك .النّحو العربيّ . ص:98. نقلاً عن أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص: 402.

[4] ابن السّراج . الأصول في النّحو . تحقيق:عبد الحسين الفتلي ,مؤسسة دار الرّسالة بيروت لبنان ,ط 3 ؛1993م, ج1,ص : 27.

[5] ابن جنّي . الخصائص . ج1, ص:173. نقلاً عن ابن مضاء . الرّدّ على النّحاة . تحقيق : محمّد إبراهيم البنا ,ص:39 .

[6] ابن مضاء . الرّدّ على النُّحاة . دراسة وتحقيق : محمّد إبراهيم البنا , ص : 40.

[7] المصدر نفسه . ص : 41.

والعلل التّعليميّة : كقولنا هذا مرفوع لأنّه فاعل ،وذاك منصوب لأنّه مفعول به ،وأطلقَ عليها النّحاة العلل الأول ،وأقرّها ابن مضاء لأنّ بمعرفتها تحصُلُ لنا المعرفة بكلام العرب ،وهي بذلك المُحقِّقة لغاية النّحو .وأمّا **العلل القياسيّة :**كحمْلِهم بناء اسم (لا) النّافيّة للجنس على بناء خمسة عشر ،وقد سمَّاها ابن مضاء بالعلل الثّواني ،وأنكرها ودعا إلى إلغائها .**والعلل الجدليّة :**كأنْ يُسأل في باب (إنَّ) مِنْ أي جهة شابَهَتْ هذه الحروف والأفعال ؟ وحين شَبَّهْتموها بالأفعال لأي شيء عُدْتُم بها إلى ما قُدِّمَ مفعول على فاعله ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة [1].وأطلق عليها ابن مضاء اسم العلل الثّوالث ،ودعا إلى إسقاطها ،لأنّ ليس فيها نَفْع ولا فائدة في ضَبْط الألسن .ولذلك فإنّ " القيّاس الّذي استند إليه في إحدى العلّتين ،التّعليميّة أو القيّاسيّة ،إنّما يُجانس طبيعة اللّغة وخصائصها ،دون القيّاس الّذي اعتمد على العلّة الجدليّة النّظريّة ،فنحا نحو الفلسفة واتّسم بسِمَتِها، وغدا صناعة بل رياضة عقليّة ونشاطا ذهنيّا ،وجعل التّعليل أصْلا وغاية ،لا وسيلة وحاجة "[2]، [3].

وعليه فالنّحاة كانوا يستغرقون في تعليل الأحكام الّتي يستنبطونها ،دون فائدة تُذكر ،وأصبحت رياضة فكريّة ،ليس بينها وبين تَرْكِها ،إلاّ رياضة امرئ بِفَكِّهِ ،وبهذا كان التّعليل السّبب الرّئيس في تعقيد الدّرس النّحويّ ،وتعالي صيحات الإصلاح ودعوات التّيسير.

ـ مسائل الخلاف :المسائل الخلافيّة في النّحو كثيرة ،والمتصفح لكتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الأنباريّ، وكتاب (مسائل خِلافيّة في النّحو) لأبي البقاء العكبريّ ،يُدرك ذلك .فمثلاً في مسألة اشتقاق الاسم :" ذَهَبَ الكُوفِيُّون إلى أنّ الاسم مشتّق من الْوَسْمِ ـ وهو العلامة ـ وذَهَبَ البَصْرِيُّون إلى أنّه مُشتَّق من السُّمُوِّ ـ وهو العُلو ـ "[4]..واحْتَجَّ الطَّرفان بما لا طائل تحته .

أمّا في مسألة العامل في رَفْعِ المبتدأ والخبر ،فَـ "ذَهَبَ الكُوفيّون إلى أنّ المبتدأ يَرْفَعُ الخبر، والخبر يَرْفَعُ المبتدأ ،فهما يترافعان ، وذلك نحو " زيْدٌ أخوك ،وعمرو غلامُك ". وذَهَبَ البصريّون إلى أنّ المبتدأ يرتفِعُ بالابتداء ،وأمّا الخبر فاختلفوا فيه : فذَهَبَ قوْمٌ إلى أنّه يرْتفِعُ بالابتداء وحده ،وذَهَبَ آخرون إلى أنّه يرْتفِعُ بالابتداء وحده ،وذَهَبَ آخرون إلى أنّه يرْتفِعُ بالابتداء والمبتدأ معًا ،وذَهَبَ آخرون إلى أنّه يرْتفِعُ بالمبتدأ والمبتدأ يرْتفِعُ بالخبَر "[5].

أمّا في مسألة الخِلاف في عَمَلِ (حَتَّى) ،فَـ " ذَهَبَ الكوفيُّون إلى أنّ (حَتَّى) تكون حرف نَصْبٍ ينْصِبُ الفعل المضارع منْ غير تقدير (أَنْ) ،نحو قولك (أَطِع الله حتَّى يُدخِلَك الجنّة ،واذْكُر الله حتَّى تَطْلُعَ

---

[1] ينظـــر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص : 401.

[2] الزّعبلاوي . مسالك القول في النّقد اللّغويّ . دمشق سوريا ,ط1؛ 1984م ,ص :67. نقلاً عنأحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص : 402.

[3] ينـــظر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص : 402.

[4] ابن الأنباري . الإنصاف في مسائل الخلاف . تحقيق:محمّد محي الدين عبد الحميد ,المكتبة العصريّة ـ بيروت لبنان، دط؛ 2006 م , ج1, ص : 08.

[5] ابن الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف. تحقيق:محمّد محي الدين عبد الحميد ,المكتبة العصريّة صيدا بيروت,دط ؛2006م ,ج1, ص:38.

الشّمس) ،وتكون حرف خَفْضٍ من غير خافض ،نحو قولك (مَطَلْتُهُ حتَّى الشّتاء ،وسَوَّفْتُهُ حتَّى الصّيف)، وذَهَبَ أبو الحسَن عليّ بن حمزة الكسائي إلى أنّ الاسم يُخْفَضُ بعدها بِـ (إلى) مُضْمرة أو مُظْهرة . وذَهَبَ البصريّون إلى أنّها في الموضعيْن حرف جرّ ،والفعل بعدها منصوب بتقدير (أَنْ) والاسم بعدها مجرور بها "[1].

أمّـا في مسألة الخِلاف في حذْف الواو من نحو (يَعِدُ و يَزِنُ) ،فَـ " ذَهَبَ الكوفيّون إلى أنّ الواو من نحو(يَعِدُ ،ويَزِنُ) إنّما حُذِفَتْ للفرْق بين اللّازم والمُتعدّيّ .وذَهَبَ البصريّون إلى أنّها حُذِفَتْ لوُقوعها بين يَاءٍ وكَسْرَةٍ "[2].

كـما نجد بعض النّحاةيسلكون مسلك التّسليم للعرب كأبي عمرو بن العلاء ،و تلميذه يونس بن حبيب " إذْ نراه يُحاول غالبًا إيجاد الوجْه المناسب لما يبدو في أشعارهم ـ العرب ـ مُخالفًا في ظاهِرِهِ للقياس ،وهو موقف ازدادَ عُمْقًا بآراء الأخفش الأوسط (ت 213هـ) المُخَالِفَة لكثير مما يذهب إليه الخليل وسيبويه ،مع أنّه من نحاة البصرة ،وهو اتّجاه تبلورَ واتّسعَ مجاله بظهور مذهب الكوفة ..."[3].

ـ كَثْرَة التّآليف في علم النّحو :يقول ابن خلدون : " وبالجملة فالتّآليف في هذا الفنّ ـ يعني النّحو ـ لا تُحْصى أو يُحاط بها ،وطُرُق التّعليم فيها مختلفة ؛فطريقة المتقدّمين مغايرة لطريقة المتأخرين . والكوفيّون والبصريّون والبغداديّون والأندلسيّون مختلفة طرقهم كذلك "[4].

وكَثْرَة التّآليف تضُرّ بالنّاس في تحصيل العِلْم ،وهاهو ابن خلدون يُحذِّر من ذلك ،في فصْـــل (في أنّ كَثْرَة التّآليف في العلوم عائقة عن التّحصيل) : " اعْلَمْ : أنّه مما أضرَّ بالنّاس في تحصيل

العِلم والوقوف على غاياته كَثْرَة التّآليف واختلاف الاصطلاحات في التّعاليم ،وتعدُّد طُرُقها ،ثمّ مطالبة المتعلّم والتّلميذ باستحضار ذلك ،فيحتاج المتعلّم إلى حِفظها كلّها أو أكثرها ومراعاة طُرُقها ..." [5]. ومَثَّل لذلك من الفقْه في المذهب المالكي بالكُتب المُدَوَّنة فيه وما كُتِب عليها من الشُّروحات الفقهيّة ،ثمّ قال : " ... وهي كلّها متكرِّرة والمعنى واحدٌ ... "[6].ثمّ مَثَّل لذلك من عِلْمِ العربيّة بكتاب سيبويْه ،" وجميع ما كُتِب عليه ،وطُرق البصريين والكوفيين والبغداديين والأندلسيين من بعدهم وطُرق المتقدِّمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كُتِب في ذلك ،... "[3]. ثمّ يتساءل عن تحصيلها " وكيف يُطالب به المتعلّم ،وينقضي عُمُرُه دُونَه، ولا يَطمعُ أحدٌ في الغاية منه إلاّ في القليـل النّـــادر ؟! ... "[7].ثمّ بَيَّن المقاصد الّتي ينبغي اعتمادها

---

[1] المصـد ر نفسه . ج2 , ص : 489.
[2] المصـد ر نفسه . ج2 , ص : 644.
[3] ناصر لوحيشي . " الدّرس النّحويّ : مشكلاته ومقترحات تيسيريّة " , ص : 98.
[4] ابن خلـدون . المقدّمـة . ص :567.
[5] ابن خلـدون . المقدّمة . ص : 547.
[6] المصـدر نفسه . ص : 547 .
[7] المصـدر نفسه . ص : 547 .

بالتّأليف وإلغاء ما سِواها ، فقال : " ... ثمّ إنّ النّاس حَصَروا مقاصد التّأليف الّتي ينبغي اعتمادها بالتّأليف وإلغاء ما سِواها ،فعدُّوها سبعَة ... "[1] . ،وهـــــي :

1ـ استنباط العِلْم بموضوعه وتقسيم أبوابه وفصوله وتَتَبُّع مسائله .

2ـ أنْ يقِفَ على كلام الأوّلين وتآليفهم فيجدها مستغلِقة على الأفهام فيحرص على إبانة ذلك لغيره

3ـ أنْ يعْثُر المتأخر على غلط أو خطإٍ في كلام المتقدِّمين مِمَّنْ اشتهرَ فضله ،فيحرص على إيصال ذلك لمَنْ بعده .

4ـ أنْ يكون الفَنُّ الواحد قد نَقُصَتْ منه مسائل أو فصول ،فيقصِد إتمام ما نقُصَ منه .

5ـ أنْ تكون مسائل العِلْم قد وقعَتْ غير مرتّبة ولا منتظَمَة ؛فيقصِد ترتيبها وتهذيبها .

6ـ أنْ تكون مسائل العِلْم مُفرَّقة في أبوابها من علوم أخرى ،فيقصِد تنظيم فنٍّ يُظهره .

7ـ أنْ يكون الشيء من التّأليف الّتي هي أمّهات للفنون مُطَوَّلاً ؛فيقصِد تلخيص ذلك ، بالاختصار والإيجاز وحذْف المُتَكَرِّر .

ـ كَـــثْرة الاختصـارات في عِلْم النّحو :

من العوائق الّتي ساهمتْ في تعقيد الدّرس النّحويّ ،كَثْرة المختصرات ،ومختصرات المختصرات، وقد تتعدّى ذلك، ويَعْتبرها ابن خلدون مُضرّة في تحصيل العِلم ،وذلك فـــي فصـل (في أنّ كَثْرة الاختصارات المؤلّفة في العلوم مُخلّة بالتّعليم) ،حيث يقول :" ذَهَبَ كثيرٌ من المتأخرين إلى اختصار الطُّرُق والأنحاء في العلوم ،يُولعُون بها ويُدَوِّنون منها برنامجًا مختصرًا في كلّ عِلْم يَشتمِل على حصْر مسائله وأدلَّتها ،باختصار في الألفاظ وحَشْوِ القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفنّ . فصارَ ذلك مُخِلاً بالبلاغة وعسيرًا على الفهْم . وربّما عمدوا إلى الكتب الأمّهات المطوَّلة في الفنون للتّفسير والبيان ؛فاختصروها تقريبًا للحِفْظ ،... "[2] . ثمّ مَثَّلَ لذلك ،بما فَعَلَه ابن الحاجب في الْفِقْهِ وأُصُوله ،وابن مالك في العربيّة ،والخونجيُّ في المنطق . وبيَّنَ فسادَ ذلك في التّعليم بقوله :" ... وهو فسادٌ في التّعليم وفيه إخلالٌ بالتّحصيل وذلك لأنّ فيه تخليطًا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العِلْم عليه ،وهو لَمْ يستعِد لقُبُولها بعدُ ، ... "[3] . كما أنّ الْمَلَكَةَ الحاصلة من التّعليم في تلك المختصرات ،" ... فهي مَلَكَةٌ قاصِرة عن الْمَلَكَاتِ الّتي تَحْصُلُ من الموضوعات البسيطة الْمُطَوَّلَةِ لِكَثْرَةِ ما يقعُ في تلك من التّكرارِ

---

[1] المصدر نفسه . ص : 547 .

[2] ابن خلـــــدون . المقدّمة . ص : 551.

[3] المصـــــدر نفسه . ص : 551 .

والإحالةِ المفيدَيْنِ لحصول الْمَلَكَةِ التَّامَّة ... "[1]. كما أنّهم " ... قَصَدوا إلى تسهيل الْحِفْظِ على المتعلِّمين ،فأركبوهم صَعْبًا يَقْطَعُهُم عن تحصيل الْمَلَكَات النّافعة وتَمَكُّنِها. ... "[2]. والظّاهرأنّهم يَحْسِبون أنّفسهم يُحْسِنون صُنْعًا ،فانقلَبَ الصّنيعُ إلى عكسه .

ـ التّأليفُ المُخْتَلَط : يقول الأستاذ صالح بلعيد : " ... اشتدَّ التّنافسُ على التّأيف المختلط ،وتداخلَت العلوم فيما بينها، لأنّها نشأتْ متزامنة متداخلة يُفيدُ بعضها بعْضًا وتطوّرَتْ لتتبادلَ التّأثيرَ والتّأثُّرَ عبر اللّفظ وبين مسالك الأصالة والفرعيّة ،رغم أنّ كثيرا من العلوم لَمْ تُدْرَس لذاتها وفي ذاتها بلْ لكلّ عِلْم أغراض، ... "[3].. وامتازت العصور الأولى ،بالمزْج بين الفقْه والنّحو وأمور الدّين ،من مثْل (معاني القرآن) للفَرّاء ، و(مجاز القرآن) لأبي عبيدة ،و(تأويل القرآن) لابن قتيبة ،وكانت اللاقات التّاريخيّة بين النّحو العربيّ والعلوم الإسلاميّة جِدُّ مترابطة إلى درَجة أنْ قِيلَ : لا بُدَّ للفقِيه أنْ يكون نحْوِيًّا لُغَوِيًّا ،وإلاّ فهو ناقِصٌ [4]. كما أنّ هذا التّأليف أدّى إلى توظيف المصطلحات المشتركة بين العلوم ،كتلك المشتركة بين عِلْم الفقه وعِلْم النّحو: القياس، النّقل ،العِلّة ،التّأويل ،الاطّراد،... وغيرها .ضِفْ إلى ذلك التّداخل بين مصطلحات أهل الحديث وأهل اللّغة، والّتي منها :التّخريج، الصّحيح، المشهور ،الغالب ،التّرجيح ،الأصْل ، ... وغيره[5].

ـ تقـــــديس كتاب سيبويْه :

قَدَّسَ بعض النّحاة هذا الكتاب ،وبذلك ساهموا في غلْقِ باب الاجتهاد ،من غير قصْد ،حتّى قال المازنيّ : " مَنْ أرادَ أنْ يضعَ كتابًا في النّحو بعد كتاب سيبويه فَلْيَسْتَحِ "[6].،أو" هل ركِبَتَ البحْرَ ؟... "[7].

وها هو ابن كيسان يُشير إلى صعوبة فهْم كتاب سيبويه " نظرتُ في كتاب سيبويه فوجدتُه في الموضع الّذي يستحِقّ ،ووجدتُ ألفاظه تحتاج إلى عبارة وتوضيح لأنّه أُلِّفَ في زمان كان أهله يَأْلَفون مثل هذه الألفاظ فاختصر على مذهبه "[8].

إلاّ أن الأخفش الأوسط خالَفَ الخليل وسيبويه في كثيرٍ من المسائل ،مع أنّه من نحاة البصْرة [9].، ثمّ أنّه من تلاميذه .

---

[1] المصـــــدر نفسه . ص : 551 .

[2] المصـــــدر نفسه . ص : 551 .

[3] صالح ينظـر , المرجع نفسه . ص : 13.بلعيـد .مقـالات لغـويّة . ص : 11.

[4] ـ ينظـر , المرجع نفسه . ص : 17.

[5] صالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 17.

[6] السّيرافي . أخبـار النّحويين البصريين .ص:39. نقلاً عنصـالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 17.

[7] ا بن الأنباري .نـــــزهة الألباء في طبقات الأدباء .ص:92. نقلاً عنصـالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 10.

[8] حلمي خليل . العربيّة وعلم اللّغة البنويّ . دار المعارف الجامعيّة,د ط ؛ 1995م ,ص : 24.

[9] ينظـر , ناصر لوحيشي . " الدّرس النّحويّ : مشكلاته ومقترحات تيسيريّة " , ص : 98.

يقول السّيرافي شارح كتاب سيبويه :"وعَمِلَ كِتَابَه الّذي لمْ يَسْبِقْه إلى مثله أحد قبله ولمْ يلحق به من بعده . ويبدُو أنّ كتاب سيبويه كان تأثيره أَشْبَه بالسِّحْرِ فلمْ يُفكِّر أحد بتجاوز ما جاء فيه "[1].

قال أحدهم :" وليس لنا اليوم أنْ نخترع ولا أنْ نقول غير ما قالوه ،ولا أنْ نَقِيس قِياسًا لمْ يقيسوه ؛لأنّ في ذلك فساد اللّغة وبُطْلان حقائقها ،ونكتة الباب أنّ اللّغة لا تُؤخذ قياسًا نقيسُه الآن نحن "[2]. والظّاهر أنّه يرى بأنّ اللّغة اكتملت على يد القدامى ،ولا مجال أنْ نعملَ شيئًا لمْ يعملوه ، هذا صحيح بالنسبة للأصول والقواعد ،فلا يحقّ لنا المساس بها ،أمّا بالنّسبة لطرائق تعليمها وتطويرها حتّى تَواكب العصْر فهذا من شأننا، ولا يَحِقّ لأحد غَلْق باب الاجتهـــــاد .

وعن مثْل هذا التّشدُّد ،يقول الأستاذ صالح بلعيد :" ولكنْ يُحيلنا هذا التّشدُّد ـ المُغالاة في تقديس اللّغة العربيّة ـ والحرْص على أنّ البحث ضروريٌّ في خصائص النّحو العربيّ لما له مِنْ دوْر في فهْمِ القرآن الكريم"[3].

ـ نحاة فقهاء : المتتبع لسيرة هؤلاء النّحاة، يجد أنّ أغلبهم قُرَّء وفقهاء ومفسِّرون ، لذلك نراهم " ... يمزجون في مؤلّفاتهم بين مجموعة من العلوم، وينتقلون من مسألة إلى أخرى؛ باعتبار أنّ العلوم لمَّا تنفصِل، فهي تتشابك، وتخدم بعضها بعضًا، بلْ إنّ كثيرًا منهم إذا سُئِلَ عن مسألة فقهيّة يستعينُ بحلّها بمسائل النّحو،..."[4].

قال ابن تيميّة : "إنّ اللّغـــة العربيّـة من الدِّيـــن ،ومعرفتها فرضٌ واجبٌ ،فإنّ فَهْمَ الكِتـابِ والسُّنَّـةِ فَرْضٌ ،ولا يُفْهَم إلاّ باللّغة العربيّة ،وما لا يَتِمُّ الواجب إلاّ بـه فهو واجـب "[5].

الدّعوة إلى الأخذ بالنّحو الكوفي:

دعا المهدي المخزومي دعاة تيسير النحو إلى الإفادة من آراء الكوفيين في تيسير النحو لقربها من المنهج الوصفي الذي يدعو إليه، يقول:" كان حريا بهذه المحاولات - محاولات تيسير النّحو- ،أن تنظر إلى النحو الكوفي نظرتها إلى النحو البصري، وأن تفيد من أعمال الكوفيين في تجديد النحو وتيسيره"[6].

---

[1] السّيرافي . أخبـار النّحويين البصريين .ص:39.
[2] نـقلاً عن صالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 10.
[3] صالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 10.
[4] صالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 14.
[5] مازن المبـارك . نحو وعيّ لغويّ (المقـــدّمة) .نـقلاً عن صالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 10.
[6] المخزومي مهدي. مدرسة الكوفة. ص:407.

ـ عدم مراعاة مراحل تطوّر اللّغة:

إنّ النّحاة الأوائل :" ... درسُوا هذه اللّهجات المتعدّدة على فترة زمنيّة طويلة تجاوزت الخمسة قرون ،ولمْ يفطنوا إلى ضرورة الفصل بين مرحلة ومرحلة أخرى من تطوّر اللّغة ... "[1].

و"دارث الدّراسات النّحويّة حول نفسها،تستقي مادتها من الذّهن لا من اللّغة،ومن الفلسفة العقليّة،لا من الواقع،ومن الشّواهد المتجمدة لا من بحوث ميدانيّة قوامها الاستقراء والمتابعة،ومن المصادرات الّتي تعتمد على القياس والافتراضات لإخضاع الأمثلة طَوْعا أو كَرْها للقواعد،لا من ملاحظة النّاطقين باللّغة واستعمالهم لها، ومتابعة ذلك بالدّراسة المتطوّرة"[2].

الهوامش

ناصر لوحيشي. "الدرس النحوي: مشكلاته ومقترحات تيسيرية"، أعمال ندوة .تيسير النحو ، سنة(2001م)،ص:105.

ابن خلدون , عبد الرحمن. المقدمة. ص: 566.

الجرجاني عبد القاهر. دلائلالإعجاز.قراءة و تعليق :محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2؛سنة 1989، ص:29.

ينظر، إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،ط7؛ سنة 1994، ص:199.

ابن عثيمين محمد صالح. الدرة النحوية في شرح الآجرومية ص:7.

الجرجاني عبد القاهر. دلائل الإعجاز. ص :81.

ينظر ، مدكور علي أحمد. تدريس فنون اللغة العربية. مكتبة الفلاح الكويت،ط1؛1984م،ص:249.

ندوة تيسير النحو سنة(1976م).نقلا عن صاري محمد." تيسير النحو:موضة أم ضرورة؟" ،ندوة تيسير النحو سنة(2001م)،ص:179

ينظر، المرجع نفسه.ص:218 .

عبد الصَّبور شاهين .العربيَّة لغة العلوم والتّقنيّة .دار الإصلاح للنّشر والتّوزيع ,ط 1 ؛ 1983م ,ص : 39,و40 - .

ندوة تيسير النحو سنة (1976م).نقلا عن صاري محمد." تيسيرالنحو:موضة أم ضرورة؟" ،ندوة تيسير النحو سنة (2001م)،ص:201 .

ابن مضاء القرطبي. الرد على النحاة. تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ط2؛ 1953م، ص:72 .

المسدي عبد السلام. التفكير اللساني في الحضارة العربية. الدار العربية للكتاب، ط2؛ 1986م، ص:23

عبد الفتاح الدّجني. الإعجاز النحوي في القرآن الكريم. مكتبة الفلاح الكويت، ط1؛ 1984م، ص:108 .

يُنظـر ,محمّد كراكبي."تقويم مُدونة النّحو العربيّ",ندوة تيسير النحو,عدد(2001م),المجلس الأعلى للغة العربيّة,ص:319,و320.

ينظر،السامرائي إبراهيم. المدارس النحوية أسطورة وواقع. دار الفكر للنشر والتوزيع بيروت، ط1؛ 1987م، ص:11.

الزبيدي أبو بكر. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، د.تا، ص:37، و38.

الزبيدي أبو بكر. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، د.تا، ص:37، و38.

---

[1] تمّام حسّان . اللّغة العربيّة معناها ومبناها .دار الثّقافة الدّار البيضاء المغرب ,د.تا ,ص : 13.

[2] محمّد عـــــيد . في اللّغة ودراستها . ص:201.

السيوطي جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة، د.تا، ج2، ص:260.

الزمخشري محمود بن عمر. المفصل في صنعة الإعراب. دار الجيل للطباعة والنشر بيروت، د.تا، ص:03.

إبراهيم مصطفى. إحياء النحو. ص:09.

الزبيدي أبو بكر. طبقات النحويين واللغويين. ص:21.

ينظر، مازن المبارك. العلة النحوية. دار الفكر بيروت، ط 3؛1981م، ص:59.

ابن خلدون عبد الرحمن. المقدمة. ص:566.

الزبيدي أبو بكر. طبقات النحويين واللغويين. ص:11، و12 .

عبد الرحمان الحاج صالح." مدخل إلى علم اللسان الحديث (2) " ، مجلة اللسانيات، (1971م)، ص:32.

ابن عثيمين محمد بن صالح. الدرة النحوية في شرح الآجرومية. ص:07.

*في هذا القول، يقول ابن عثيمين: " وهذا ليس بصحيح، نحن لا نوافق على هذا، بل نقول إن شاء الله: النحو سهل وسلمه قصير ودرجه سهلة من أوله ". نقلا عن المرجع نفسه.ص:08.

ابن عبد ربه. العقد الفريد. ج 1، ص:248، نقلا عن المرجع نفسه. ص:08.

محمّد عيد . في اللّغـــــة ودراستها . عالم الكتب القاهرة , د ط ؛ 1974م , ص : 199, و200.

ينظر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ندوة تيسير النّحو , عدد (2001م), منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة الجزائر, ص : 392.

ينظر , أنيس فريحة . نظريات في اللّغة . بيروت لبنان , ط 2 ؛ 1981م , ص : 162.

ابن جنّي . الخصائص . ج 1, ص :48. نقلاً عن أحمد حساني ." النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص :395.

ينظر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص:395.

ابن جنّي . الخصائص . ج 1, ص :237. نقلاً عن أحمد حساني ." النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص :394.

ينظر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص:394.

ابن جنّي . الخصائص . ج 1, ص :238.نقلاً عن أحمد حساني ."النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص :394.

ينظر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص:394.

السّامرائي, إبراهيم . النّحو العربيّ في مواجهة العصر . دار الجيل بيروت , ط1 ؛ 1995م , ص : 23.

أبو حيّان الأندلسي . الإمتاع والمؤانسة . تحقيق : أحمد أمين ,بيروت لبنان , د تا ,ج2 , ص : 139.

ينظر، أنيس فريحة. في اللغة وبعض مشكلاتها. دار النهار، ط1؛1980م، ص:23.

المـــرجع نفسـه. ص:93.

ابن الأنباري عبد الرحمن بن محمد. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص:276.

ابن خلـدون . المقدّمـــــة . ص : 555 .

أحمد عبد العظيم عبد الغني. المصطلح النحوي : دراسة نقدية. دار الثقافة للنشر والتوزيع مصر، د.ط؛ 1990م، ص:02.

أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص: 386.
أنيس فريحة . نظريّات في اللّغة . ص :167.
صالح بلعيـــد . مقـالات لغـــوية . ص : 05.
ينظر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص: 387.
ابن يعيش. شرح المفصل. تصحيح وتعليق: شيخ الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية القاهرة مصر، د.تا، ج2، ص:180.
أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص: 386.
صاري محمد. " واقع المحتوى النحوي في المقررات الدراسية " ، ص:180.
مازن المبارك .النّحو العربيّ . ص:98. نقلاً عن أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص: 402.
ابن السّراج . الأصول في النّحو . تحقيق:عبد الحسين الفتلي ,مؤسسة دار الرّسالة بيروت لبنان ,ط 3؛ 1993م, ج1,ص : 27.
ابن جنّي . الخصائص . ج1, ص:173. نقلاً عن ابن مضاء . الرّدّ على النّحاة . تحقيق : محمّد إبراهيم البنا ,ص:39.
ابن مضاء . الرّدّ على النُّحاة . دراسة وتحقيق : محمّد إبراهيم البنا , ص : 40.
المصدر نفسه . ص : 41.
ينظـــر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص : 401.
الزّعبلاوي . مسالك القول في النّقد اللّغويّ . دمشق سوريا ,ط1؛ 1984م ,ص :67. نقلاً عنأحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص : 402.
ينـــظر , أحمد حساني . " النّحو العربيّ بين الخطاب الفلسفيّ والخطاب التّعليميّ " , ص : 402.
ابن الأنباري . الإنصاف في مسائل الخلاف . تحقيق:محمّد محي الدين عبد الحميد ,المكتبة العصريّة ـ بيروت لبنان , دط ؛ 2006 م , ج1, ص : 08.
ابن الأنبا ري . الإنصاف في مسائل الخلاف . تحقيق:محمّد محي الدين عبد الحميد ,المكتبة العصريّة صيدا بيروت, دط ؛2006م ,ج1, ص : 38.
المصـد ر نفسه . ج2 , ص : 489.
المصـد ر نفسه . ج2 , ص : 644.
ناصر لوحيشي . " الدّرس النّحويّ : مشكلاته ومقترحات تيسيريّة " , ص : 98.
ابن خلـدون . المقدّمـة . ص :567.
ابن خلـدون . المقدّمة . ص : 547.
المصـدر نفسه . ص : 547.
المصـدر نفسه . ص : 547.
المصـدر نفسه . ص : 547.
ابن خلـــــدون . المقدّمـة . ص : 551.
المصـــــدر نفسه . ص : 551.
المصـــــدر نفسه . ص : 551.

المصـــــدر نفسه . ص : 551.
صالح ينظـر , المرجع نفسه . ص : 13.بلعيـد .مقـالات لغـويّة . ص : 11.
ينظـر , المرجع نفسه . ص : 17.
صالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 17.
السّيرافي . أخبـار النّحويين البصريين .ص:39. نقلاً عن صـالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 17.
ابن الأنباري .نـــزهة الألباء في طبقات الأدباء .ص:92. نقلاً عن صـالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 10.
حلمي خليل . العربيّة وعلم اللّغة البنويّ . دار المعارف الجامعيّة, د ط ؛ 1995م ,ص : 24.
ينظـر , ناصر لوحيشي . " الدّرس النّحويّ : مشكلاته ومقترحات تيسيريّة " , ص : 98.
السّيرافي . أخبـار النّحويين البصريين .ص:39.
نـقلاً عن صالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 10.
صالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 10.
صالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 14.
مازن المبـارك . نحو وعيّ لغويّ (المقـــــدّمة) .نـقلاً عن صالح بلعيـد . مقـالات لغـويّة . ص : 10.
المخزومي مهدي. مدرسة الكوفة. ص:407.
تمّام حسّان . اللّغة العربيّة معناها ومبناها .دار الثّقافة الدّار البيضاء المغرب ,د.تا ,ص : 13.
محمّد عيد . في اللّغة ودراستها . ص:201.